سحابة صيف

ازداد تكاثف الضباب على سطح مياه بحيرة قارون، وبدا كأن طبقة كثيفة من الجليد انتشرت على سطح مياه البحيرة، وانخفضت درجة الحرارة فى هذا الوقت من الليل، وكان سامح جالسا على صخرة ناتئة على الشاطئ، ينظر إلى مياه البحيرة فى حزن وسهوم، ولايبالى ببرودة الطقس، ولا بالظلام الذى انتشر حوله ولايبدده سوى أشعة قليلة وصلت إليه من الأضواء المنبعثة من فندق الأحلام المقام على الجانب الآخر من الشارع الموازى للشاطئ، ويملكه والد سامح.

بعد قليل، ذهب أسامة رئيس قسم المشتريات بالفندق إلى مكتب المدير للتوقيع على بعض الفواتير، وعندما لم يجد المدير، ذهب إلى الكافيتريا بالدور الأرضى، واتجه إلى مقعد، وجلس موليا وجهه صوب باب الفندق، ناظرا من حين إلى آخر إلى الباب فى ترقب واهتمام، وعندما نظر إلى الساعة فى معصمه، وألفاها تجاوزت الحادية عشرة بقليل، شعر بشئ من الضيق،

وفكر لحظة، ثم نهض من مكانه فى ضجر وسأم، وسار صوب الباب.

عبر أسامة الشارع بخطى متأنية واثقة، وسار ذاهبا إلى سامح، ووقف قبالته. وقال:

- لم أجدك بالمطعم، ولا بالكافيتريا، ولا بالمكتب، وعندما تأخرت حدست أنك هنا.. فى مخبأك المعتاد.

قال سامح فى نبرات صوت تشى بالحزن والضيق:

- قل إنك تريد أن تبرر تأخرك فى إحضار الفواتير.

فى هذه اللحظة، أدرك أسامة أنه يتحدث إلى مدير الفندق. فقال بجدية:

- متأسف ياسيادة المدير. أرجو أن توقع على فواتير المشتريات.

ومد يده اليمنى بالفواتير ليعطيها لسامح، فتناول سامح قلما من جيبه، وبدأ فى التوقيع على الفواتير، وعندما فرغ أعادها إلى أسامة، وسأله إذاكان يريد شيئا آخر، فرجاه أسامة أن يخبره بما حدث وجعله حزينا مكتئبا على هذا النحو، فاعتدل سامح فى جلسته، وقال بنبرات صوت عميقة كأنها قادمة من أغوار بئر.

- أليس من المحزن أن يكتشف الإنسان أن الفتاة الوحيدة التى خفق لها فؤاده ومنحها قلبه خدعته وكذبت عليه؟! خدعتنى تهانى ياأسامة، ماذا أقول لأبى

وأمى عندما يذهبان معى إلى أسرتها ليخطباها؟ هل أقول لهما إنهما يجب أن يخطبا لى فتاة منتمية إلى عصابة إرهابية؟!

ارتبك أسامة، وشعر كأن حجرا ثقيلا وضع على قلبه وكاد يمنعه من الخفقان، فلاذ بالصمت، واستغرق برهة فى تفكير عميق، فألحت على ذهنه عدة أسئلة، غير أنه سأل سامح عما جعله يعرف ذلك. فأجاب:

- لبنى صديقتها اخبرتنى بذلك. قالت إنهما تقيمان فى منزل واحد، وأنهما زميلتان منذ التحقتا بالمدرسة الابتدائية.

وأكمل أسامة:

- وكانتا زميلتين لنا بالمرحلة الجامعية.. على كل.. إننى لم أشعر بشئ من ذلك طوال أعوام الدراسة بكلية السياحة والفنادق. أعدك أننى سوف آتى لك بالخبر اليقين.. هلم بنا.

- هو كذلك.

نهض سامح قائما، وسار الاثنان ذاهبين إلى الفندق وهما يتحدثان.

وفى ذات يوم، انتهى أسامة من استلام بعض المشتريات، وذهب إلى سامح ليقوم بالتوقيع على الفواتير، وكانت لبنى جالسة على مقربة من سامح،

فتظاهر أسامة بالاهتمام، واتجه إليها وصافحها فى ترحاب مشوب بالتحفظ، ثم وقف قبالة سامح وقدم إليه الفواتير، وتبادل معه بضع كلمات أثناء التوقيع، ثم أعاد الفواتير إلى أسامة. وقال:

- لبنى تريد عملا لصديقتها صافيناز.. ما رأيك فى أن تؤدى العمل الذى كانت تؤديه تهانى؟

انتاب أسامة الشعور بالضيق والتعجب، لكنه كتم ما بنفسه ولم يجب، فقال سامح آمرا فى شئ من الاحتداد:

- أريد أن تعمل الآنسة صافيناز بالفندق.

- أمرك. سوف أوفر لها العمل المناسب.

ونظر إلى لبنى، وقال فى شبه اعتذار:

- يؤسفنى أن لدى أعمالا تضطرنى إلى الذهاب، بعد إذنك.

وغادر الحجرة، وفى طريقه إلى مكتبه ارتسمت على صفحة خياله صورة الفتاة السمراء الطويلة النحيلة التى لازمت صديقتها الأجنبية كظلها، ولم تكن تتبادل الحديث مع زميلاتها وزملائها إلا عند الضرورة القصوى، وكونتا معا فريقا أطلق عليه الطلبة "فريق العزلة".

مر على ذلك يومان، والتحقت صافيناز بعمل بالفندق، ولم ينس أسامة وعده لسامح، فذهب إليه فى

مكتبه بعد يومين آخرين، وأعطى له ورقتين ورجاه أن يقرأهما بتمعن، وجلس على مكتب أمام المكتب يراقب التعبيرات التى ارتسمت على وجه صديقه، والتى تسرب جزء منها إلى نفسه.

لاح السرور على وجه سامح، ونظر إلى أسامة. وقال:

- إذن ما قالته لبنى عن تهانى محض افتراء.. كذب الهدف منه أن أبتعد عن تهانى.

- نعم. وهاهى النتيجة.. تركت تهانى العمل، والتحقت صديقة لبنى بالعمل بدلا منها.

- حقا..هذا ماحدث.

فكر سامح لحظة، ثم تساءل فى حيرة، وكأنه يتحدث إلى نفسه:

- ماذا أفعل؟

لم يجب أسامة، ولاذ كل منهما بالصمت برهة شغل خلالها بالتفكير، ثم تناول سامح الهاتف المحمول من درج بمكتبه، وطلب رقما وأصغى لحظة. ثم قال:

- أرجو أن تعودى إلى عملك حالا لأن القسم فى حاجة إليك.

وبلغ أذنى سامح صوت تهانى من الطرف الاخر للخط تقول:

- لكن....

- لقد أخطأت وأريد أن أعتذر إليك.. إذا لم تأت غدا سأذهب إلى منزلكم بعد غد. وأحملك فى سيارتى وأوصلك إلى الفندق بنفسى.

ابتسم أسامة، ودنا من الهاتف بسرعة. وقال:

- وأنا سأرافقه.

وبلغ آذانهما صوت ضحكة انطلقت من فم تهانى. وقالت:

- سآتى.

فنظر كل منهما إلى الآخر فى سرور.